﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا تقرَّر في الآية السّابقة أنَّ اللّه يجزي قومًا بكسبهم، وأفهم أنَّه تعالى يعاقب على ذنوبِهم واجترامهم؛ أكَّد ذلك، وصرَّح بالحكم العامِّ الَّذي يتناول الصّالحين والمسيئين، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾[1]، وأيضًا لمّا رغَّب ﷺ، ورهَّب، وقرَّر أنَّه لا بدَّ من الجزاء؛ زاد في التَّرغيب والتَّرهيب بأنَّ النَّفع والضُّرَّ لا يعدوهم، فقال تعالى شارحًا الجزاء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾[2].

من عمل صالحًا؛ فنفعُ ذلك له، ومن عمل بالكفر والمعاصي؛ فضرر ذلك على نفسِه

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ومَن عَمِلَ في الدُّنيا بطاعةِ اللّهِ تعالى، فامتَثَل أوامرَه، واجتَنَب نواهيَه؛ فنَفْعُ ذلك له، ومَن عَمِلَ بالكُفرِ والمعاصي؛ فضَرَرُ ذلك ووَبالُهُ على نَفْسِه، لا على غَيرِه، ثمَّ إلى رَبِّكم تَصيرونَ - أيُّها النّاسُ - بعدَ مَوتِكم أحياءً يومَ القيامةِ، فيُجازيكم على أعمالِكم خَيرِها وشَرِّها، ففي الآية إرشاد إلى تعليم الأخلاقِ الفاضِلةِ، والأفعالِ الحَميدةِ، وأنَّ العَمَلَ الصّالحَ يَعودُ بالنَّفعِ العَظيم على فاعِلِه، والعَمَلَ الرَّديءَ يَعودُ بالضَّرَرِ على فاعِلِه، وأنَّه تعالى أمَرَ بهذا، ونهَى عن ذلك؛ لحَظِّ العَبدِ، لا لِنَفعٍ يَرجِعُ إليه سُبحانَه، وهذا تَرغيبٌ منه في العَمَلِ الصّالحِ، وزَجرٌ عن العَمَلِ الباطِلِ، فمتى عَلِمْتَ أنَّ عمَلَك لِنَفْسِك؛ فسوف تجتهدُ في هذا[3].

العمَلُ الصّالح يعود بالنَّفع على فاعِلِه، والرَّديء يعود بالضَّرَر عليه

(1) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 5/ 83، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 674.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 82.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 80، والواحدي، الوسيط: 4/ 96، و97، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 266، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 880، وابن عثيمين - سورة فصلت، ص: 282.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الفصل في الآية:

كـلُّ إنـسـانٍ متعلّق بعملِه إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شرًّا؛ فشرٌّ

جاءت جملة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ على طريق الفصل لكمال الاتِّصال؛ لأنَّها تفصيل لِما أجمل في قولِه: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، فالجملة بدل الكلِّ من الكلِّ، وفائدة مجيء البدل بيان عظم الأمر في تعلُّق كلِّ إنسان بعملِه، وأنَّ الجزاء يوم القيامةِ يكون على جميع الأعمال، ويكون قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾، كالمثلِ يضربُه اللهُ لِلَّذِينِ يَغْفِرونَ، وقوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ مَثَلًا يضربُه لِلكُفّارِ الَّذِينَ كانوا يُقْدِمونَ عَلى إيذاءِ الرَّسولِ والمُؤمِنِينَ وعَلى ما لا يَحِلُّ[1]، فيظهر بمجموع البدل والمبدل منه مزيد اعتناء بمضمون الجملتين[2]، ويحتمل أن يكون الفصلُ في الجملة؛ لكونِها جاءت بيانًا وإيضاحًا لما قبلها، من حيثُ إنَّه لمّا قال: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾؛ احتمل أن يُظنَّ أنَّ الجزاء لبعض القوم دون آخرين، أو أنَّ الجزاءَ يكون مقصورًا على من عمل صالحًا، فجاءت جملة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾، وما عُطفَ عليها؛ بيانًا لِما قبلها وإيضاحًا للمقصود.

دلالة ﴿مَنْ﴾:

الـجـزاء يـوم الـقـيـامـة لـكـلِّ فـــردٍ، فـكـلُّ نفسٍ تُجزَى بِما كسبت

لمّا كان الكلام في بيان عموم الجزاء وكيفيَّته خيرًا كان أو شرًّا؛ عُبِّرَ باسم الشَّرط ﴿مَنْ﴾ الدّالِّ على العموم؛ ليتناول اللَّفظ كلَّ من عملَ صالحًا، ومثله اسم الشَّرط في قوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾؛ فإنَّه يتناول كلَّ من أساء العملَ، ولمّا جاء فعل الشَّرط مسندًا إلى الضَّمير المفرد في قوله: ﴿عَمِلَ﴾ و﴿أَسَآءَ﴾؛ دلَّ على أنَّ العمومَ على معنى كلِّ فردٍ فردٍ؛ ليفيد معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 674.
(2) السكاكي، مفتاح العلوم، تح: زرزور، ص: 253.

سرُّ العدولِ عن مفردة الكسب إلى العمل:

كلمةُ العمل تُستعمل في مجاري الخير والشَّرِّ، والكسبُ في الأصلِ يُستعمل فيما يكون فيه خير وصلاح

في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ عبَّر بلفظ العمل دون الكسب؛ لأنَّ العمل يُستعمل في ما يمتدُّ زمانه، وفيما يحتاج إلى نيَّة وقصد، ولأنَّه لمّا كان الكسب يُستعمل في الأصل فيما يكون فيه خيرٌ ومنفعةٌ، وكان العمل يُستعمل في الخير والشَّرِّ، وكان الكلام في بيان الجزاء على العمل الذي يشمل المؤمن والكافر، وهو أمرٌ كلّيٌّ عامٌّ يدخل فيه الصالح والسيِّئ؛ عبَّر بالعمل دون الكسب، ولهذا قيَّد العمل بقولِه: ﴿صَٰلِحًا﴾، ولا يقيَّد الكسب بالصَّلاح، فلا يقال: (من كسب صالحًا)؛ لأنَّ الكسب في الأصلِ لا يُستعمل إلّا فيما يكون فيه خير وصلاح، أي: فيما فيه رِبحٌ ككسب المالِ[1].

نكتة التَّعبير بالماضي ﴿عَمِلَ﴾:

عبَّر النَّظم بصيغة الفعل الماضي ﴿عَمِلَ﴾؛ للإشعار بأنَّ الجزاء بالنَّفع متعلِّق بوقوع العمل الصّالح وتحقيقه.

دلالةُ اختيار مفردة ﴿صَٰلِحًا﴾:

الصَّفح والعفو عن الأذى هو من باب إصلاح الفساد في المجتمع

عبَّر بلفظ ﴿صَٰلِحًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ دون أن يقال: (من عمل خيرًا)؛ لاقتضاء المقام مفردة الصَّلاح دون غيرِها، وبيانه أنَّه لمّا كان قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ جاء عقب الأمر بالمغفرة؛ أفاد أنَّ المغفرة من العمل الصّالح، وأنَّ ما يفعله الذين لايرجون أيّام الله من أذيَّة المؤمنين هو من العمل الفاسد؛ لأنَّ الصلاحَ ضدُّ الفسادِ[2]، كما أفاد أنَّ عملَ المؤمنين بمغفرتِهم للكافرين والصَّبر على أذاهم هو من باب الإصلاح المقابل للفساد، فكأنَّ الذين آمنوا بمغفرتِهم يصلحون ما يفسده الكافرون من الأذى، وفيه تنبيهٌ إلى أنَّ الصَّلاح في المغفرة، ولو قيل: (من عمل

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عمل، كسب).
(2) الراغب، المفردات: (صلح).

خيرًا)؛ لَما أفاد ضرورة المغفرة، وإنَّما ستكون نوعًا من أعمالِ الخير الَّتي تخصُّ الفرد.

نكتة تنكير ﴿صَٰلِحًا﴾:

جاء لفظ ﴿صَٰلِحًا﴾ نكرةً؛ لإفادة تعظيم العمل الصّالح وتفخيمه، ففيه ترغيبٌ لعمله، وحثٌّ على فعلِه، كما أنَّ في التَّنكير معنى الشُّيوع؛ ليفيد أنَّ المرادَ أيُّ عملٍ قلَّ أو جلَّ، ويمكن أن يكون التَّنكير مفيدًا لمعنى التَّكثير أيضًا؛ للدَّعوة إلى تكثير الأعمال الصّالحة، لا سيَّما أنَّ ﴿صَٰلِحًا﴾ هي صفة لموصوف محذوف، تقديره: (من عمل عملًا صالحًا).

الحثُّ على العمل الصّالحِ وإن قلَّ

وظيفةُ الفاء الرّابطة:

لمّا جاءت الفاء في قولِه: ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ في موقع جواب الشَّرط، وكانت الفاء للتَّعقيب والتَّرتيب؛ أفادت أنَّ ما قبلها سببٌ لِما بعدَها، بمعنى: أنَّ العمل الصالح سببٌ لنفع صاحبِه، وأنَّ النَّفع يؤول إلى صاحبِه، ويعقبه بحيث لا يتخلَّف عنه، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ نفْعَ العمل الصّالح للنَّفس يكون في الدُّنيا، كما يكون في الآخرة، ومثله الفاء في قوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾، فإنَّها أفادت أنَّ العمل السيِّئ سببٌ لوقوع الضَّرر على النَّفس، وأنَّ الإساءة تؤول إلى فاعلِها بما يعقبها من المضرَّة على النَّفس، كما أفادت الفاء أنَّ المضرَّة لا تتخلَّف بعد الإساءة، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ضرر الإساءة على النَّفس يكون في الدُّنيا كما يكون في الآخرة، فالفاء الرّابطة في جواب الشَّرط تدلُّ على جواب شرطٍ محذوفٍ قد سبقها، وعطفت ما بعدها عليه، والتَّقدير هنا: (فعمله لنفسه).

نفعُ العمل الصّالح للنَّفس يكون في الدُّنيا، كما يكون في الآخرة

فائدة اللام:

اللّام في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ هي لام التَّخصيص أو لام النَّفع، والمعنى: فنفسه نَفَعَ[1]، فالعمل الصّالح يعود بالنَّفع العظيم على

الجزاءُ لِمن يعمل صالحًا يكون فيه عطاء وفائدة

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 203.

فاعلِه[1]، وآذن التَّعبير باللّام أنَّ الجزاء لِمن يعمل صالحًا يكون فيه عطاء وفائدة، فإنَّ اللّام تُستعمل للمحابِّ والحظوظ[2].

دلالةُ الحذف في جواب الشَّرط:

لمّا كان جواب الشَّرط يقتضي أن يكون جملةً؛ كان قوله ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ على تقدير محذوفٍ، فإمّا أن يكون بتقدير: فهو لنفسِه[3]؛ ليعود الضَّمير المقدَّر على المصدر المنفهم من الفعل ﴿عَمِلَ﴾، والمعنى: فعملُه لنفسِه، وإمّا أن يكون تقدير الكلام: فلنفسِه عملَ[4]، أو فلنفسِه عَمَلُه، فيكون الجار والمجرور خبرًا لمبتدأٍ محذوف، فهو عمدة لا فضلة؛ ليفيد تقديم الجار والمجرور على الوجهين في التَّقدير معنى التَّخصيص، أي: لنفسه عملُه لا لغيرِه، والمعنى: لمنفعةِ نفسِه عمِلَ ولحاجتِه لا لمنفعةٍ له سبحانه ولا لحاجةٍ له تعالى اللّه عن ذلك؛ ليفيد بلازمِه أنَّه تعالى مستغنٍ عن الطّاعة، ولا تضرُّه المعصية، فَمَن أطاعَ؛ فالثَّوابُ لَهُ، ومَن أساءَ؛ فالعِقابُ عَليهِ.

اللّهُ تعالى مُستغنٍ عن الطّاعةِ، ولا تضرُّه المعصيةُ، فمَن أطاعَ؛ فالثَّوابُ لَهُ، ومَن أساءَ؛ فالعقابُ عليهِ

نكتةُ اختيار لفظ النَّفس:

عبَّر بلفظ النَّفس عند ذكر الجزاء في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ للإشعار بأنَّ نفْعَه مخصوص بها؛ لأنَّ النَّفس أخصُّ ما يعبَّر به عن الشَّخص، كما أنَّ في التَّعبيرِ إيماءً إلى أنَّ النَّفس فقيرة إلى التَّزكية بالأعمال الصّالحة؛ لأنَّها محلُّ النَّقائص، وإذا علم أنَّ عملَه لنفسِه يُكثر منه؛ لأنَّ الإنسان يحبُّ النَّفع لنفسِه بالطَّبع.

النَّفس فقيرة إلى التَّزكية بالأعمال الصّالحة؛ لأنَّها محلُّ النَّقائص

دلالةُ إضافة النَّفس للضَّمير:

لمّا كان الضَّمير في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ يعود إلى ﴿مَنْ﴾، بما اتَّصف به، أي: بما تعلَّق به من فعل الشَّرط؛ أفاد أنَّ المراد فلنفسِه عملَ صالحًا.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 674.
(2) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 5/ 83، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 418.
(3) العكبري، التبيان: 2/ 1128.
(4) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 516.

مناسبةُ العطف في قوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾:

لمّا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾، وكان المقام في بيان حال المؤمنين، وحال الكافرين في الدُّنيا والآخرة؛ ناسب أن يعطف عليه قوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾؛ لمناسبتهما في كونِهما جملتَين شرطيَّتين وفي الجهة الجامعة، بمعنى: أنَّه لمّا ذكر من عمل صالحًا، وذكر جزاءَه؛ ناسب ذِكر ما يقابله، وهو من أساء مع ذكر جزائِهِ؛ ليكون الجامع بينهما من قبيل الجامع الوهميِّ؛ لأنَّهما بمنزلةِ الضِّدَّين، فكأنَّ الإنسان ليس له إلّا أن يعمل صالحًا، أو يسيء في عملِه، كما أنَّه ليس هناك إلّا جزاءان، فإمّا أن يكون له المنفعة، وإمّا أن يكون له الضُّرُّ.

ليس للإنسان إلّا أن يعمل صالحًا، أو يسيءَ في عملِه، والخيار له، والنَّتيجة يوم القيامة

براعةُ العدول عن (من عمل سوءًا) إلى ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾:

عدل عن أن يقول: (ومن عمل سوءًا) - ليكون التَّقابل على وجهه المعروف بمقابلة العمل الصّالح بالعمل السيِّئ - إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾؛ للطائفَ؛ **منها**: أنَّه لمّا قال: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾؛ علَّق الضَّرر على النَّفس بمطلق الإساءة، فدخل في اللَّفظ العمل الَّذي يكون فوق الإساءة؛ لأنَّ تعيين الأعمِّ يتناول الأخصَّ من باب الأحرى، بمعنى: إذا كان الضَّرر على النَّفسِ يكون بمطلق الإساءة؛ فأحرى أن يكون عليها ما فوقها[1]، **والثّانية** هي أنَّه عبَّر بما يؤول إليه العمل، وهو الإساءة، وتقبيحُ المفعول أبلغُ من تقبيح الفعل؛ لأنَّه يستلزمه، **والثّالثة**: هي أنَّه في العدول إلى ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الإساءة لا ينبغي أن تُسمّى عملًا[2]، بل ينبغي ألّا تُعمل الإساءة أصلًا، وكأنَّ العمل الَّذي ينبغي أن يكون هو العمل الصّالح فقط، فكان التَّعبير بـ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾ أبلغَ وأوفقَ بالمقام، وقال البقاعيُّ في بيان سبب العدول: "كان قياس العبارة في

إذا كان الضَّرر على النَّفسِ يكون بمطلق الإساءة؛ فأحرى أن يكون عليها ما فوقها

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/ 258.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 180.

جانب الصَّلاح أن يقال: (ومن عمل سيِّئًا)، فأفاد العدول إلى ما عبَّر به مع ذكر العمل أوَّلًا الَّذي مبناه العلم أنَّ الصّالح تتوقَّف صحَّته على نيِّته، وأنَّ السَّيِّئَ يُؤاخذ به عامله في الجملة مِن اللّه أو النّاس، ولو وقع خطأً؛ فلذا قال: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾"[1].

نكتة التَّعبير بالماضي ﴿أَسَآءَ﴾:

لمّا عبَّر بصيغة الماضي في قولِه: ﴿أَسَآءَ﴾؛ أفاد أنَّ الجزاء يقع عند تحقُّق وقوع الإساءة وحصولِها.

نكتةُ التَّعبير بحرف الاستعلاء:

من عادة المتقابلات في اللُّغة العربيَّة أن يُعبَّر عن النَّفع باللّام وعن ما يقابله من الضُّرِّ بـ(على)، وهو أسلوب جارٍ في القرآن، وإنَّما عبَّر في جانب الإساءة بقوله: ﴿فَعَلَيْهَا﴾؛ للإشعار بثقل الإساءة وشدَّة تحمُّلها وأذاها على النَّفس، فإنَّ (على) تُستعمل للعلوِّ والقهر[2].

الإساءة ثقيلةٌ على النَّفس بأذاها وتحمُّل عاقبتِها

دلالةُ الحذف في قوله: ﴿فَعَلَيْهَا﴾:

دلَّ تركيب الكلام على وقوع الحذف في جواب الشَّرط، والتَّقدير: (فإساءتُه عليها)، لمّا ذكر النَّفس في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ جاء الكلام على مقتضى الظّاهر في الإضمار بعد الإظهار، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾، أي: فعلى النَّفس - الَّتي أساءت - الضَّررُ.

فائدة ﴿ثُمَّ﴾:

في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أفاد التَّعبير بـ﴿ثُمَّ﴾ تراخي رجوع النّاس جميعًا المؤمنين والكافرين إلى ربِّهم يوم القيامة، أي: مهما طال الأمر؛ فإنَّكم إلى ربِّكم تُرجعون، وليفيد أنَّه بالإمكان الاستزادةُ من العمل الصّالح والإنابة إلى ربِّ العالمين والتَّوبة إليه

مهما طال الأمر فإنَّكم - أيُّها النّاس - إلى ربِّكم تُرجعون فتُحاسبون

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 209.

(2) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 5/ 83، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 418.

بترك الإساءة، كما أنَّ في ﴿ثُمَّ﴾ إيماءً إلى التَّراخي الرُّتبي؛ للإشعار بأهمّيَّة ما بعدَه بمعنى: أنَّ خلاصة الأمر هي في الرُّجوع إلى ربِّكم، فيجازيكم على أعمالِكم الصّالحة والسَّيّئة بما يناسب أعمالَكم[1].

فائدة ﴿إِلَىٰ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بحرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ أنَّ انتهاء غاية رجوع العباد هو إلى ربِّهم.

وجهُ التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة دون الألوهيَّة:

لما كان لمقصد السورة نظر كبير إلى الرَّحمة؛ إذ تقدَّم ذِكر إحسانِه تعالى على الخلق في تسخيرِه لهم ما في السَّماوات وما في الأرض، وكان الجزاء يوم القيامة على وفقِ إحسانِه وفضلِه؛ عُبِّرَ بوصف الرُّبوبيَّة، فقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، كما أنَّ في التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة استعطافًا للفريقين بالزّيادة في العمل الصّالح أو بترك السَّيِّئ.

بلاغةُ الالتفات في الآية:

لا يليق لمن يرجع إلى مربّيه والمحسن إليه أن يقابله بالعمل السَّيِّئ

في الآية التفاتٌ وعدول من الغيبةِ في قولِه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ إلى الخطاب في قولِه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، وسبب العدولِ تقريرُ الاستعطاف والتَّحبُّب إلى عمل الصّالح وترك السيِّئ، وأنَّه لا يليق لمن يرجع إلى مربّيه والمحسن إليه أن يقابله بالعمل السيِّئ، كما أنَّ في الالتفات بطريق الخطاب تسليةً للمؤمنين وترهيبًا للكافرين.

تعيينُ مرجع الضَّمير في قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

الحشرُ لجميع العباد

يعود الضَّمير في قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ إلى مجموع من عمل صالحًا ومن أساء؛ ليشمل الضَّمير جميع العباد، وإنَّما عبَّر بضمير الجمع؛ للإشعار بأنَّ الحشرَ يكون لجميع العباد.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 343.

غرضُ تقديم الجار والمجرور على الفعل:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ على الفعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ لغرض القصر، والتَّقدير: إلى ربِّكم وحده لا إلى غيرِه ترجعون، ولمّا أفاد القصرُ حصرَ رجوع العباد إلى ربِّهم يوم القيامة؛ أفاد أنَّ الجزاء لا يكون إلّا منه سبحانه.

الجزاء يوم القيامةِ لا يكون إلّا من الله سبحانه

بلاغةُ استعمال مفردة الرُّجوع:

لمّا كان الرُّجوع بمعنى العود إلى ما كان عليه في البدء[1]؛ عبَّر بلفظ الرُّجوع في قولِه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّكم ترجعون إلى مَن بدأ خلقَكم، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ الذي يجازيكم، ويحكم بينكم هو الذي بدأ خلقَكم، فأطلقَ على المصيرِ إلى حكم الله وقضائِه أنَّه رجوع إلى الله على طريق التَّمثيل بحالِ من كان بعيدًا عن سيِّده بما كان يعمل في الدُّنيا، فعمل ما شاء أن يعمل، ثمَّ رجعَ إلى سيِّده ومولاه؛ ليلاقي جزاء عملِه[2]، كما أنَّ في اللَّفظ إشعارًا بأنَّ رحلةَ النّاسِ في هذه الحياةِ تنتهي بالرُّجوع إلى الله يوم القيامة، وأنَّ الحياة الأخرى هي المنتهى.

رحلةُ النّاسِ في هذه الحياةِ تنتهي بالرُّجوع إلى الله يوم القيامة

بلاغةُ بناء فعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾ للمفعول:

عبَّرَ بصيغة اسم المفعول ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ لِما يفيده حذف الفاعل من الإبهام المناسب؛ لهول موقفِ الجزاء على الأعمال وشدَّته، فحذف الفاعل هنا؛ لأنَّه معلومٌ للمخاطَب، ولدعوتهم للانشغال بفعل الرُّجوع نفسه بغضِّ النَّظر عن فاعله.

نكتة التَّعبير بصيغة المضارع:

عبَّر بصيغة المضارع في قولِه: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ إشعارًا بأنَّ العباد منذ بدء خلقِهم هم في حالة رجوع مستمرٍّ، كما أنَّ في التَّعبير بصيغة المضارع تصويرًا لحالة رجوعِهم وقتًا فوقتًا، وشيئًا فشيئًا.

العباد منذ بدء خلقِهم هم في حالة رجوع مستمرٍّ إلى ربِّهم بسبب الموت وانتهاء الحياة الدُّنيا

(1) الراغب، المفردات: (رجع).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 343.

توجيهُ المتشابه اللَّفظي:

مناسبةُ كلِّ كلِّ لفظ في القرآن موضعه بما لايناسب غيرَه

جاء في سورة فصَّلت: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت 46]، وجاء في سورة الجاثية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وسبب الاختلاف في الفاصلة بين الآيتين هو أنَّ آية الجاثية جاء قبلها حديث عن منكري البعث، أي: في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، فناسب ختم الآية بالحديث عن البعث والرُّجوع بعد الموت لنيل الثَّواب أو العقاب؛ لأنَّه وصفَ الكافرين بإنكارِ البعث قبلَه، أمّا آية فصَّلت؛ فناسب ختمها بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: 46]؛ لأنَّه جاء قبلها الكلام عن ظلم الكافرين في إلحادِهم بآيات القرآن وظلمِهم في تكذيبِه، فجاءت الفاصلةُ لبيان جزاء كلٍّ بما يستحقُّ من غير ظلم للّه تعالى لهم، كما أنَّ الختام بنفي ظلمِه تعالى هو المناسب لمعنى الآية، بمعنى: أنَّه تعالى لا يُضيعُ عَمَلًا صالحًا، ولا يَزيدُ عَلى مَن عَمِلَ سَيِّئًا[1]، فناسب كلُّ لفظ موضعه بما لا يناسبُ غيرَه.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الكسب والعمل:

التَّعبير بالكسب للإشعار بأنَّ الصَّفح عن أذى الكافرين ممّا يجلب النَّفع للمؤمنين يوم القيامة

الفرق بينهما هو أنَّ الكسب هو ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظٍّ، كَكَسْبِ المال، وقد يُستعمل فيما يظنُّ الإنسان أنَّه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرَّة، ويكون لنفسِه ولغيره، ويكون الكسبُ بمراسٍ وعلاجٍ مع القصد إلى الكسبِ، ويومئ لفظُ الكسب إلى عمل الجوارح، وبه سُمّيت جوارح الإنسانِ كواسبَ، كما سُمّي ما يُصاد به من الطّيور والحيوان جوارحَ وكواسبَ[2]، وأمّا

(1) السيوطي، الإتقان: 3/ 350 - 351.

(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 137، والراغب، المفردات: (كسب).

العمل؛ فهو كلُّ فعلٍ يكون ممَّن عنده حياة، ويكون بقصد[1]، فقد يتحرّى العامل اجتلاب النَّفع من عملِه، وقد لا يكون كذلك، فالعمل أعمُّ من الكسب، وعبَّر بالكسب للإشعار بأنَّ الصَّفح عن أذى الكافرين ممّا يجلب النَّفع للمؤمنين يوم القيامة بإثابتِهم عليهم.

(1) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عمل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"